في وضع المرأة

يتعذّر عليّ القول بأن المرأة هي دون الرجل بسبب ضعف ما جسدي أو ذهني.. هذا ما حاولتُ اثباته في آخر مولود لي بعنوان «فلسفات الثورة». المرأة والرجل يتميّزان في معظم الشؤون الحياتية، وهذا لحسن طالعهما. ولئن أبَيّن خلال التاريخ تقدّم الرجال على النساء، فأرجّح ان مردّ ذلك خصوصا إلى مراحل الحمل لدى النساء، وهي مراحل يمسي خلالها الرجل متحكما في حياة المرأة...

هناك حركات نسوية تصاعدت في الآونة الأخيرة تحت كل سماء، وفيها ما فيها من نقلات نوعية لمصلحة المرأة عموما. ويبدو أن الشأنين السياسي والوظيفي هما، أكثر من سواهما، من دواعي تلك الحركات. ولقد أثبتت المرأة في بلادنا منذ حراك ١٧ تشرين الأول، انها عظيمة في ذاتها، صاحبة خلق ومعرفة متنوّرة بالعلم، جعلت الشارع، بعد بيتها، واحة هناء وحوار سخي. تفيّأ شبابنا في ظلالهن فجنوا حبًا غامرا وسعادة نسبية أنستهم آلام النضال وشقاء الحياة وشدائدها. مسحت بعض الاعلاميات على أرض الحدث عن الرجال والصبية تعبهم بالبسمة الحانية والعبارة العذبة الرقيقة. قسوة السلطة قد تُفاقم التمرّد فيأتي لين السيدات أو حتى عزمهنّ لتخفيف وطأة العدوانية واستنهاض الهمم على السواء.

تجلت المرأة في المرحلة الأخيرة وحتى أحيانا لدى بعض القيّمات على شؤون النّاس، خشبة خلاص أو متنفسا للعقد النفسية والمعضلات الاجتماعية والاقتصادية.

لا يُبنى لبنان المنشود إلّا على المحبة والتضامن والآخاء المتوافرة كلها لدى المرأة قبل الرجل. النساء اللبنانيات، في نظري، قلّما يفرّقنَ على أساس من الانتماء وهن تاليا دعامة للبنان قويّ فعلاً. تجمعهنّ عموما راية واحدة لا تفرّق بين مذهب ومذهب. وشهادة أنجالهنّ أو اخوتهنّ أو أبائهنّ يختلط فيها دم كل شهيد بدم الشهيد الآخر.

في صفوف الرجال عدد من الخائفين الذين لا يصنعون الحرية، ومنهم ضعفاء لا يخلقون الكرامة أو مترددون لا تقوى أيديهم المرتعشة على البناء. أما معظم النساء، فتتجلى روحهنّ في أوقات الضيق والحراك، نشوى مترنحة، وترقص قلوبهن طربا، وتراهنّ يجتزنّ بحيرات الشتاء وجبال النفايات وفرح العطاء والحياة يدفعهنّ ويفجّر من صدورهنّ الأهازيج الجامعة الشاملة المانعة.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه